المـؤامـرة

أحمد بوزفور

الطريق طويل وابيض بين الاراضي المحصودة المنحدرة على الجانبين والطفل بدا صغيرا كنقطة . لم يكن يحس بالمنجل في يده . . . يسير وهو يلوح به ولكنه لم يكن يحسه . . التراب يبرد . . أحس به تحت قدميه الصغيرتين ناعما ومدغدغا كالطحين ، والتفت وراءه فرأى خطواته مطبوعة على التراب كما هي : خطوة وراء خطوة . نظر الى قدمه اليمنى وضغط بها على التراب ثم رفعها ونظر الى صورتها المرسومة ، نظر الى الاصبع الكبيرة تتبعها الاصابع الاربعة الصغيرة وابتسم : كالدجاجة والكتاكيت . وأحس على جبهته بنسمة باردة خفيفة فتنهد . . . كم كانت الشمس حارة اليوم ! ورأى شوكة على جانب الطريق فأحس بالمنجل في يده . . . ضربها بقوة فطارها عن جذعها الناحل المزغب ثم عاد فضرب الجذع نفسه وأطاره . أبوه قوي ، يحصد طول النهار ولا يتعب . أحس بالراحة حين تذكر غناء أبيه . . لم يكن الا دندنة خافتة تطفو فوقها مرة بعد مرة كلمات صغيرة متقطعة : « يا لالا . . الغيام . . عشرلاف » الشمس تنحدر نحو المغيب . . سمع الطفل خوار بقرة من بعيد فالتفت ولكنه لم يرها . . أبوه حين يدندن في خفوت لا يشعر بأحد ، ينسى ما حوله تماما ، وحينئذ يتباطأ الطفل في جمع حزم الشعير المحصود وينظر الى الحقول الاخرى . لابد أن أباه الآن يشرب الشاي عند عمته ، ولن يصل الى الدار الا في الظلام ، ولذلك فلن يرى خطوات ابنه الضاحكة على التراب المسحوق . أمه هي التي ستفتح الباب في الليل ، أما هو فسيكون نائما ... على الجانب الايسر من الطريق رأى وجها ملتويا يضحك ، وحين التقط الورقة الملونة عرف أنه وجه امرأة ، فقد كان في أذنيها قرطان طويلان كقمرين معلقين . . كانت الورقة مكرشة ، لابد أن صاحبها رماها بعد أن امتص حبات الحلوى . مر بلسانه على الخد الايسر للمرأة فلم يذق الا طعم الورق الاملس ، طوى الورقة على أربع ووضعها في قب جلابته الكتانية وتابع سيره . حين يمر تحت دار « العيساوي » فستهاجمه الكلبة البيضاء . . لذلك فعليه أن يخرج من الطريق الناعم الطري ويخترق الشوك والحصى ليراوغها

. . ولكن دار « العيساوي » لا تزال بعيدة . . والتفت الى الوادي الاخضر في السفح البعيد فرأى الاشجار والماء وطريق السيارات والبيوت والمدرسة ، ثم صعد ببصره وراء الوادي الى الجبل المقابل فرأى الغابة والافق والسماء . جلس على حافة الطريق وأخذ يتابع ببصره سيارة صغيرة زرقاء كانت تجري كالنحلة مع الوادي الاخضر . لو اشترى له أبوه سيارة . . . من الحديد لا من التراب . . . يجرها في ساحة الدار على عجلاتها المطاطيه ويجري . . حتى يصل . . الى المدينة ؟ ؟ المدينة هناك وراء الغابة في الليل يرون اضواءها البعيدة . ليلها كالنهار . والاطفال فيها كالجن لا يخافون . في النهار يقرأون الكتب في المدارس ، وفي الليل يلعبون تحت الاضواء الباهرة . أبوه لا « يعرف » اللعب ، لا « يعرف » الا الزرع والشمس والعرق ، وفي الصباح يخلعه من فراشه والنجمة بعد في السماء . ربما لحقه الآن في الطريق . . ونهض . الشمس وصلت الى الارض . صارت حمراء كالدم ، وتراب الطريق بارد الآن . . سمع صفيرا متقطعا ونظر الى الامام فرأى الماعز يملأ الطريق ، والاطفال يركضون ويصفرون . المغرب . . . وبعد قليل تبدأ النساء في الحلب . لو يشرب عرافا من اللبن . . باردا تطفو فوقه قطع الزبد الصفراء . . سيشرب الشاي وينام . . لن يصل الا في الظلام ، وانتفض ونظر الى يده اليمنى فلم ير المنجل . وعاد راكضا . . أبوه سيسلخ لحمه بالحزام الجلدي . . لابد أن المنجل هناك حيث جلس ينظر الى السيارة الزرقاء . . كان يلهث حين رأى المنجل . فالتقطه ملهوفا ، وتطلع الى الطريق فلم ير اباه ، وعاد راكضا كالجدي . . كان الاطفال قد غابوا بالماعز . . الظلام يغطي الارض بالتدريج كالنعاس . . بعد قليل لن يرى الطريق امامه ، والتفت الى الوراء فلم ير أحدا . لا ينبغي أن يكون طفلا خوافا . . ليس هناك أحد ولا شيء وراءه . . لينظر فقط الى الامام وليتابع الركض . ولكن شيئا خفيا كان يجذبه من وراثه . . يجذبه بدون يد كالهواء . . والتفت فرأى شيئا عائما ضبابيا يقبل وراءه من بعيد . . ليس شيئا . . ليس شيئا . . وعاد فالتفت ورآه أيضا ، فاسرع في الجري . . واسرع الشيء العائم الاسود وراءه . واحس بانفاسه في قفاه فصرخ ، والتفت مذعورا فرأى الشيء الاسود لا يزال بعيدا . . وتابع الجري وهو يبكي في خفوت . . وقبل أن يصل الى دار « العيساوي » . . . « يدين يدين . . يدين طويلتين ناعمتين ضاحكتين دافئتين . . يدين حنونتين . . يدين امامه يراهما وتغيبان . . يدين يدين يدين . . » وانكفأ على وجهه . . عثرت رجله بحجر نابت . . فسقط ببطنه على سن المنجل الحاد . . كان المنجل يبقر بطنه والشيء الاسود يطبق عليه . . وصرخ لحظة . . ثم غابت عنه الدنيا . .